مجلة كلية الآداب

مجلة كلية الآداب، العدد **22**، ديسمبر 2026

DOI: 10.36602/faj.2026.n22.11

أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني

رافع محمد بيت المال *

جامعة مصراتة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ليبيا

r.baitalmal@art.misuratau.edu.ly

الاقتباس: بيت المال، رافع محمد. (2026). أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. (22)، 206–227.
https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

تاريخ التقديم: 2026-08-22 **تاريخ القبول:** 07 -2026-09 **نشر إلكترونيا في** 2026-09-08

ملخص البحث

يتناول هذا البحث أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر، دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني، ويسعى للكشف عن مدى ارتباط الاختيارات الأسلوبية في السورتين بمقتضيات المقام والسياق التنزيلي، مع بيان ما تكشف عنه هذه الاختيارات من خصائص التعبير القرآني ودقته في الموازنة بين المبنى والمعنى. اعتمد البحث المنهج الأسلوبي التحليلي القائم على استقراء الظواهر التعبيرية في السورتين، وتحليلها في ضوء المعطيات البلاغية والتفسيرية، مع الإفادة من المقارنة بين الخطاب المكي والخطاب المدني في الكشف عن أثر اختلاف المقام في توجيه الاختيار الأسلوبي. وتناول البحث مفهوم الاختيار الأسلوبي وصلته بالدراسات البلاغية والأسلوبية، ثم وقف على أبرز خصائص الخطاب المكي والمدني، قبل أن ينتقل إلى دراسة الاختيارات الأسلوبية في سورة العصر، من خلال تحليل اختيار القسم، ووسائل التوكيد والاستثناء، والبنية الصوتية والإيقاعية، وبيان صلة هذه الاختيارات بخصائص المقام المكي. ثم تناول سورة النصر من خلال دراسة اختيار الفعل الماضي في التعبير عن النصر والفتح، والانتقال من الأسلوب الخبري إلى الأمر، واختيار الألفاظ ذات البعد الجماعي، وأثر المقام المدني في توجيه هذه الاختيارات. وأظهرت الدراسة أن الاختيار الأسلوبي في السورتين لم يكن اختيارًا شكليًا أو عارضًا، وإنما جاء منسجمًا مع المقام ومحققًا لمقاصد الخطاب. فقد اتجهت سورة العصر إلى التوكيد والإيجاز والقصر والإنذار، بما يتلاءم مع طبيعة الخطاب المكي القائم على تقرير أصول الإيمان وترسيخ الحقائق الكلية، في حين اتجهت سورة النصر إلى الإخبار بتحقق الوعد الإلهي، وتصوير الانتشار الجماعي للدعوة، ثم توجيه النبي ﷺ إلى التسبيح والاستغفار، بما ينسجم مع طبيعة الخطاب المدني في مرحلة التمكين واكتمال الدعوة. وخلص البحث إلى أن اختلاف المقام المكي والمدني أسهم في توجيه الاختيارات اللفظية والتركيبية والصوتية والدلالية في السورتين، دون أن يخل ذلك بوحدة النسق البياني للقرآن الكريم؛ مما يؤكد أن دراسة الاختيار الأسلوبي تمثل مدخلًا مهمًا للكشف عن دقة التعبير القرآني وتناسبه مع المقام والمقصد.

الكلمات المفتاحية: *الاختيار الأسلوبي، الأسلوبية، سورة العصر، سورة النصر، المكي والمدني، التعبير القرآني، المقام،*

© المؤلف، 2026. هذا العمل مرخص بموجب **CC BY-4.0**

الاقتباس: بيت المال، رافع محمد. (2026). أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. (22)، 206–227.
https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

1. المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. يُمثّل القرآن الكريم ذروة نصوص العربية، وأبلغها أسلوبًا، وأدقها اختيارًا للألفاظ والتراكيب؛ فقد جاءت مفرداته وتراكيبه وفق نظام محكم يراعي مقتضيات المقام، ويُحكم العلاقة بين التعبير والمعنى، حتى صار كلُّ اختيارٍ لغويٍّ فيه شاهدًا على جانب من جوانب إعجازه البياني. ومن هنا حظيت دراسة الأسلوب القرآني بعناية العلماء قديمًا وحديثًا، لما تتغيّاه من كشف عن أسرار النظم ودقائق التعبير ووجوه التناسب بين البنية اللغوية والمقاصد الدلالية.

استأثرت قضية المكي والمدني باهتمام الباحثين ضمن قضايا الأسلوب القرآني وإعجازه؛ لما لها من أثر ظاهر في فهم الخطاب القرآني واستيعاب خصائصه التعبيرية؛ إذ ارتبط كلٌّ منهما بمرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية، اقتضت أساليب خاصة في بناء الخطاب وصياغة المعنى. فغلب على السور المكية: تقرير أصول العقيدة، وإثارة الوجدان، وشدة الإيقاع وقوة التوكيد، في حين اتّسمت السور المدنية: بمخاطبة الجماعة المؤمنة، وإبراز معاني التشريع والتوجيه والتربية.

2.1 مشكلة البحث:

في هذا السياق تبرز سورتا العصر والنصر نموذجًا جديرًا بالتأمل؛ فهما من قصار السّور القرآنية، تتقاربان في حجم النص وقوة التكثيف الدلالي، غير أنهما تنتميان إلى مرحلتين مختلفتين من مراحل التنزيل؛ فسورة العصر مكية تمثل خطاب الدعوة في مرحلة التأسيس العقدي، بينما سورة النصر مدنية تمثل مرحلة اكتمال الرسالة وظهور آثارها في المجتمع. ويثير هذا التقابل سؤالًا علميًّا مهمًّا حول أثر اختلاف المقام في توجيه الاختيارات الأسلوبية التي تشكّل بنية السورتين.

3.1 فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مفادها: أن الاختيارات الأسلوبية في كل من سورتي العصر والنصر لم تكن مجرد بدائل لغوية ممكنة، وإنما جاءت استجابة لمقتضيات المقام الذي نزلت فيه كل سورة؛ فانعكست خصائص الخطاب المكي في سورة العصر من خلال القسم والتوكيد والاستثناء وقوة الإيقاع، في حين تجلت خصائص الخطاب المدني في سورة النصر من خلال أساليب الإخبار بالتحقق، والتوجيه إلى التسبيح والاستغفار، وبناء المعنى الجماعي المرتبط بتمام الدعوة وظهور النصر.

4.1 أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن مظاهر الاختيار الأسلوبي في السورتين، وبيان الصلة بين هذه الاختيارات وخصائص الخطاب المكي والمدني، مع إبراز أثر المقام في توجيه البنية التعبيرية وصناعة الدلالة. ولتحقيق ذلك يعتمد البحث المنهج الأسلوبي التحليلي، مستفيدًا من معطيات البلاغة العربية في دراسة الظواهر التركيبية والدلالية والصوتية التي أسهمت في بناء المعنى في السورتين.

5.1 أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في سعيها للربط بين الدرس الأسلوبي والدرس القرآني، والكشف عن أثر السياق التنزيلي في توجيه الاختيار اللغوي، بما يسهم في تعميق فهم النص القرآني وإبراز جانب من جوانب إعجازه البياني.

6.1 الدراسات السابقة:

الاقتباس: بيت المال، رافع محمد. (2026). أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. (22)، 206–227.
https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

حظي الأسلوب القرآني بعناية كبيرة في الدراسات البلاغية والأسلوبية الحديثة، وتنوعت المقاربات التي تناولته بين الدراسات العامة التي بحثت في مفهوم الأسلوبية والاختيار الأسلوبي، والدراسات التطبيقية التي اتخذت من بعض السور القرآنية نماذج للكشف عن خصائص التعبير القرآني وأسرار اختياراته. ومن أبرز الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث ما يأتي:

1. **دراسة العتيبي (2022)**: سورة النصر، دراسة أسلوبية

تُعد هذه الدراسة من أكثر الدراسات اتصالًا بموضوع البحث من حيث تناولها سورة النصر بمنهج أسلوبي مباشر. وقد هدفت إلى دراسة آيات السورة دراسة صوتية وتركيبية ودلالية.

وتلتقي هذه الدراسة مع هذا البحث في اتخاذ سورة النصر مجالًا للتطبيق، وفي الإفادة من مستويات التحليل الصوتي والتركيبي والدلالي، غير أن البحث الحالي يختلف عنها في زاوية المعالجة ومقصدها؛ إذ لا يهدف إلى دراسة سورة النصر دراسة أسلوبية شاملة في مستوياتها المختلفة، وإنما يركز على مبدأ الاختيار الأسلوبي، ويربط هذه الاختيارات بالمقام المدني، ثم يقابلها بالاختيارات الأسلوبية في سورة العصر بوصفها سورة مكية. ومن ثم فإن المقارنة بين المقامين المكي والمدني تمثل جانبًا مميزًا في البحث الحالي لا تنهض به الدراسة السابقة.

2. **دراسة حامد (2015): مبدأ الاختيار الأسلوبي في سورة الإسراء**

رسالة ماجستير بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2015م، اتخذت من مبدأ الاختيار الأسلوبي محورًا لدراسة سورة الإسراء. وقد سعت إلى الكشف عن أسرار اختيار بعض الألفاظ والصيغ والتراكيب القرآنية.

وتفيد هذه الدراسة البحث الحالي في تأصيل مفهوم الاختيار الأسلوبي وتطبيقه على النص القرآني، غير أن مجالها التطبيقي يختلف عن مجال البحث الحالي؛ إذ اقتصرت على سورة الإسراء، ولم تتجه إلى دراسة أثر الاختلاف بين المقام المكي والمدني من خلال المقارنة بين سورتين قصيرتين مختلفتي المرحلة التنزيلية.

3. **دراسة العامري (2021): أسلوبية الاختيار في سورة يوسف**

تناولت هذه الدراسة مبدأ الاختيار الأسلوبي في سورة يوسف، وانطلقت من أن النص القرآني يمثل قيمة لغوية وجمالية يمكن الإفادة في الكشف عن أسرارها من المناهج الأسلوبية الحديثة مع مراعاة خصوصية النص القرآني.

وتتقاطع هذه الدراسة مع البحث الحالي في اتخاذ الاختيار الأسلوبي محورًا للتحليل، ومحاولة الكشف عن أسرار إيثار لفظ أو صيغة على غيرها، إلا أن البحث الحالي يتجاوز دراسة الاختيار داخل سورة واحدة إلى دراسة الاختيار في سورتين مختلفتين في المقام التنزيلي، بهدف الكشف عن أثر المكي والمدني في تشكيل التعبير القرآني.

4. **دراسة جيني (2006): الاختيار الأسلوبي للكلمة في القرآن الكريم: أبعاده الدلالية وطاقاته الحجاجية**

تتناول هذه الدراسة الاختيار الأسلوبي للكلمة القرآنية من منظور دلالي وحجاجي، وتركز على دقة اختيار الكلمة القرآنية وارتباط سماتها الدلالية بالسياق الذي ترد فيه، وما تحمله من طاقات تأثيرية وحجاجية. وتفيد هذه الدراسة في تأكيد أهمية النظر إلى الكلمة القرآنية بوصفها جزءًا من نظام تعبيري متكامل، لا مجرد وحدة معجمية قابلة للاستبدال.

ويستفيد البحث الحالي من هذا المنظور في تحليل بعض الاختيارات اللفظية في سورتي العصر والنصر، لكنه يختلف عنه في أن الاختيار هنا لا يدرس من زاوية الكلمة المفردة وحدها، وإنما في علاقته بالبنية الأسلوبية للسورة وبالمقام المكي والمدني، مع عقد مقارنة بين النموذجين.

5. دراسة التمتمي (2025): أسلوبية الاختيار وأثرها في فهم النص القرآني: سورة المطففين أنموذجًا

تناولت هذه الدراسة أثر أسلوبية الاختيار في تعميق فهم النص القرآني، واتخذت من مطلع سورة المطففين نموذجًا تطبيقيًا، واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، مع التركيز على العلاقة بين الاختيار والسياق والانزياح. ومن تطبيقاتها بيان الدلالة التي يحققها اختيار بعض الألفاظ والتراكيب دون غيرها، مؤكدة أن الاختيار الأسلوبي يكشف عن دلالات دقيقة لا تؤديها البدائل القريبة بالدرجة نفسها.

وتتقاطع هذه الدراسة مع البحث الحالي في اعتماد مبدأ الاختيار الأسلوبي وسيلة للكشف عن دقة التعبير القرآني، إلا أن البحث الحالي يختلف عنها في اتساع المجال التطبيقي، وفي اتخاذ سورتين مختلفتين من حيث المقام التنزيلي مجالًا للموازنة، مع التركيز على أثر المكي والمدني في توجيه الاختيارات الأسلوبية.

ومن خلال استعراض هذه الدراسات يتبين أن الدراسات السابقة قد تناولت الأسلوبية القرآنية من زوايا متعددة، كما تناول بعضها مبدأ الاختيار الأسلوبي في سور منفردة، وتناولت دراسة خاصة سورة النصر من منظور أسلوبي شامل. إلا أن البحث – في حدود ما وقف عليه الباحث – يتجه إلى معالجة مختلفة تتمثل في دراسة أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر دراسة مقارنة، للكشف عن أثر اختلاف المقام المكي والمدني في توجيه الاختيارات التعبيرية والصوتية والتركيبية والدلالية.

وتتحدد إضافة البحث الحالي في أنه لا يكتفي برصد الظواهر الأسلوبية في كل سورة على حدة، وإنما يسعى إلى تفسيرها في ضوء مقتضى المقام، ثم عقد موازنة بين السورتين للكشف عن العلاقة بين المرحلة التنزيلية والاختيار الأسلوبي، بما يبرز جانبًا من دقة التعبير القرآني وتناسبه مع المقام والمقصد.

2. 1 الاختيار الأسلوبي وخصائص الخطاب المكي والمدني

1.1.2 مفهوم الاختيار الأسلوبي في الدراسات البلاغية والأسلوبية

يقوم الاستعمال اللغوي على مبدأ الانتقاء من الإمكانات التي تتيحها اللغة، إذ يجد المتكلم نفسه أمام بدائل متعددة من الألفاظ والتراكيب والصيغ، فيختار منها ما يحقق غايته التعبيرية ويوافق مقتضى المقام. ومن هنا ارتبط مفهوم الأسلوب بفكرة الاختيار؛ لأن الخصوصية الأسلوبية لا تنشأ من اللغة ذاتها، بل من الكيفية التي يوظف بها المتكلم عناصرها المختلفة في سياق معين. (فضل، 1998، ص113)

ويُعَدُّ الاختيار الأسلوبي من المفاهيم الرئيسة في الدراسات الأسلوبية الحديثة، ويُقصد به انتقاء عنصر لغوي من بين عناصر أخرى متاحة في النظام اللغوي؛ لتحقيق وظيفة دلالية أو جمالية أو تداولية مخصوصة. فالأسلوب . في جانب مهم منه . نتيجة مباشرة لسلسلة من الاختيارات التي يجريها منشئ النص على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. (المسدي، 1977، ص139 . 141)

وإذا كان مصطلح الاختيار الأسلوبي حديث النشأة، فإن جذوره الفكرية تمتد إلى التراث البلاغي العربي؛ إذ تنبه البلاغيون إلى أن بلاغة الكلام لا تتحقق بمجرد الألفاظ المفردة، وإنما بحسن تأليفها وترتيبها بحسب مقتضيات المعاني والأحوال. وقد جعل عبد القاهر الجرجاني مناط البلاغة في النظم، وعدَّ الفضل في الكلام راجعًا إلى العلاقات التي تنشأ بين الألفاظ في سياقها، لا

إلى الألفاظ منفردة، وهو ما يفترض وجود عملية اختيار دقيقة تحكم بناء الخطاب. (الجرجاني، 2004، ص49،55، وص391، 392)

كما تجلت فكرة الاختيار عند البلاغيين في مباحث متعددة، مثل: التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل؛ إذ تقوم هذه الظواهر على العدول من صورة تعبيرية إلى أخرى تبعًا لمقتضى الحال. وقد قرر السكاكي أن مقتضى البلاغة هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال، الأمر الذي يجعل اختيار الصيغة أو التركيب جزءًا من العملية البلاغية ذاتها. (السكاكي، 2000، ص254-258)

وفي ضوء ذلك يمكن النظر إلى النص القرآني بوصفه نموذجًا أعلى للاختيار الأسلوبي؛ إذ جاءت ألفاظه وتراكيبه وفق نظام محكم يراعي مقتضيات المقام والسياق، ويحقق أعلى درجات الانسجام بين التعبير والمعنى. ومن ثم فإن دراسة الاختيار الأسلوبي في سورتي العصر والنصر لا تقتصر على رصد الظواهر البلاغية، بل تهدف إلى الكشف عن أسرار تفضيل بنية تعبيرية على أخرى، وبيان أثر المقام المكي والمدني في توجيه هذه الاختيارات وبناء دلالاتها.

وفي ضوء ذلك يمكن النظر إلى النص القرآني بوصفه النموذج الأعلى للاختيار الأسلوبي؛ إذ لم يأتِ لفظ أو تركيب فيه اعتباطًا، وإنما وقع كل اختيار فيه وفق مقتضى دلالي وسياقي خاص. وقد نبّه بعض الباحثين المعاصرين إلى أن دراسة التعبير القرآني تكشف عن دقة الانتقاء في مستويات اللغة المختلفة، وأن العدول من صيغة إلى أخرى أو من تركيب إلى آخر إنما يرتبط بمقاصد معنوية وبلاغية محددة. ويرى محمد عبد المطلب أن الأسلوبية تتيح الكشف عن الآليات التي تنتج بها البنى اللغوية دلالاتها داخل النص، وأن قيمة الاختيار تتجلى في العلاقة القائمة بين الشكل التعبيري ووظيفته الدلالية. (عبد المطلب، 1994، ص260،261).

كما يؤكد فاضل السامرائي أن كثيرًا من الخصائص التعبيرية في القرآن الكريم تقوم على الاختيار المقصود للألفاظ والصيغ والتراكيب، بحيث لا يمكن إحلال لفظ محل آخر أو تركيب محل غيره دون أن يترتب على ذلك اختلاف في الدلالة أو الأثر البياني. (السامرائي، 2002، ص10-12)

2.1.2 خصائص الخطاب المكي والمدني وأثرها في توجيه الاختيار الأسلوبي

يُعَدُّ علم المكي والمدني من العلوم القرآنية التي تسهم في الكشف عن خصائص الخطاب القرآني ومقاصده؛ إذ يرتبط نزول القرآن الكريم بمرحلتين مختلفتين من مراحل الدعوة الإسلامية، لكل منهما ظروفها وموضوعاتها وجمهورها المخاطَب. وقد انعكس ذلك على البنية التعبيرية للقرآن الكريم، فظهرت سمات أسلوبية مميزة في السور المكية وأخرى في السور المدنية، مع بقاء الوحدة الفنية والبيانية للخطاب القرآني. (السيوطي،1974، ج1/ص23-35)

وقد لاحظ العلماء أن السور المكية اتجهت في الغالب إلى تقرير أصول العقيدة من توحيد وإيمان بالبعث والجزاء، ومجادلة المشركين، وإقامة الأدلة على صدق الرسالة، الأمر الذي اقتضى أساليب تتسم بقوة الإيقاع وشدة التأثير وكثرة التوكيد وقصر الفواصل وقوة التصوير. ولذلك يغلب على الخطاب المكي: استعمال القسم، والتوكيد بمختلف وسائله، والاستفهام

الإنكاري، والمقابلات التصويرية التي تستثير العقل والوجدان معًا. (الزرقاني، د.ت، ج1/ص202-205)

أما السور المدنية فقد ارتبطت بمرحلة استقرار الجماعة المسلمة وتكوين المجتمع الإسلامي، فغلب عليها تناول التشريعات والأحكام وتنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية، إلى جانب توجيه المؤمنين وتربيتهم. ومن ثم اتسم خطابها بقدر أكبر من التفصيل والهدوء النسبي، وبرزت فيه أساليب التقرير والتوجيه والتعليم، مع استمرار حضور الخصائص البيانية التي تميز الخطاب القرآني عامة. (الصالح، 2000، ص175-181)

ولا يعني ذلك وجود فاصل حاد بين الأسلوب المكي والأسلوب المدني؛ إذ إن القرآن الكريم يحافظ في جميع مراحله على وحدته البيانية والفنية، غير أن اختلاف المقامات والأحوال أدى إلى ترجيح بعض الاختيارات التعبيرية على بعضها الآخر. فاختيار القسم والتوكيد والإيقاع القوي في كثير من السور المكية يرتبط بطبيعة المخاطبين وأهداف الدعوة في بداياتها، في حين يرتبط شيوع أساليب التوجيه والتعليم والخطاب الجماعي في السور المدنية بطبيعة المرحلة اللاحقة من مسيرة الدعوة الإسلامية. (القطان، 1995، ص82-90)

وانطلاقًا من ذلك يمكن النظر إلى الاختيار الأسلوبي في سورتي العصر والنصر بوصفه انعكاسًا لطبيعة المقام الذي نزلت فيه كل سورة؛ فاختيارات سورة العصر تتصل بخصائص الخطاب المكي القائم على التقرير العقدي والتوكيد والإنذار، بينما ترتبط اختيارات سورة النصر بخصائص الخطاب المدني الذي يعالج واقع الجماعة المؤمنة بعد تحقق النصر وانتشار الدعوة. ومن ثم فإن دراسة البنية الأسلوبية في السورتين لا تنفصل عن دراسة أثر المقام المكي والمدني في توجيه هذه الاختيارات وصناعة دلالاتها.

ومن ثم فإن دراسة الاختيار الأسلوبي في سورتي العصر والنصر تنطلق من النظر إلى البنية التعبيرية فيهما بوصفها نتيجة لاختيارات لغوية مقصودة، ارتبطت بطبيعة المقام الذي نزلت فيه كل سورة، وأسهمت في تحقيق مقاصدها الدلالية والتأثيرية.

2.2 الاختيار الأسلوبي في سورة العصر وتمثله لخصائص الخطاب المكي

1.2.2 اختيار القسم وأثره في بناء المعنى

افتتحت سورة العصر بقوله تعالى: "وَالْعَصْرِ" (العصر: 1)، وهو افتتاح يقوم على أسلوب القسم، الذي يُعَدُّ من أبرز الظواهر التعبيرية في السور المكية. ويكتسب القسم في القرآن الكريم أهمية خاصة؛ إذ لا يقتصر دوره على مجرد التوكيد، بل يتجاوز ذلك إلى توجيه انتباه المتلقي نحو القضية المركزية التي يدور حولها الخطاب، وربط المقسَم به بالمقسَم عليه بعلاقة دلالية عميقة. (الزركشي، 1988، ج3/ص44)

وقد تنوعت أقوال المفسرين في المراد بالعصر؛ فقيل: هو الدهر أو الزمان كله، وقيل: هو وقت العصر المعروف، وقيل: هو عصر النبوة وما شهده من ظهور الحق وانتشاره. (الطبري، 2000، ج24/ص589-591)

وعلى الرغم من اختلاف هذه الأقوال فإنها تلتقي عند دلالة جامعة تتمثل في ارتباط العصر بالزمن وحركة الحياة الإنسانية. ومن ثم فإن اختيار هذا اللفظ دون غيره يكشف عن قصدية أسلوبية تتصل بالموضوع الرئيس للسورة.

الاقتباس: بيت المال، رافع محمد. (2026). أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. (22)، 206–227.
https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

ويقوم البناء الدلالي للسورة على تقرير حقيقة كلية مفادها أن الإنسان واقع في الخسران إلا إذا تحققت فيه صفات مخصوصة، هي: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. ومن هنا تبدو العلاقة وثيقة بين المقسَم به والمقسَم عليه؛ لأن الزمن هو المجال الذي يمارس فيه الإنسان أفعاله، وفيه تتحقق خسارته أو فوزه.

وقد أشار المفسرون إلى أن مناسبة القسم بالعصر للخسران الذي أثبتته السورة للإنسان من أدق وجوه الترابط بين أجزاء السورة، إذ إن العمر هو رأس مال الإنسان، وكل لحظة تمضي منه تقربه من الربح أو الخسارة. (الرازي، 1420هـ، ج32/ص85–87، الجوزية، د.ت، ص11–13)

ومن منظور أسلوبي، يُلاحظ أن اختيار القسم في مطلع السورة ينسجم مع طبيعة الخطاب المكي الذي يكثر فيه توظيف وسائل التوكيد والإقناع؛ لأن المخاطبين كانوا في مقام إنكار وجدال، فاقتضى الحال تقوية الحكم وتأكيده. وقد عدّ علماء البلاغة القسم من أقوى أساليب التوكيد؛ لما يحدثه من تنبيه نفسي واستثارة ذهنية تدفع المتلقي إلى التطلع لمعرفة جواب القسم واستقبال مضمونه بعناية أكبر. (القزويني، 2023، ص45)

كما أن اختيار لفظ: (العصر) يتسم بدرجة عالية من الكثافة الدلالية؛ إذ جاء في لفظ مفرد قصير جامع لمعانٍ واسعة تتصل بالزمان والتاريخ والعمر الإنساني. وهذا الإيجاز من السمات البارزة في التعبير القرآني، حيث تؤدي اللفظة الواحدة شبكة من المعاني المتداخلة دون إخلال بوحدة السياق.

إن اختيار الألفاظ في القرآن الكريم لا ينفصل عن وظيفتها في بناء الرؤية الكلية للنص، وأن القيمة التعبيرية للفظ تتحدد من خلال موقعه وعلاقته بما يجاوره من ألفاظ وتراكيب. (عبد المطلب، 1994، ص101–104، والسامرائي، 2002، ص27–31)

وخلاصة القول: إن القسم في سورة العصر ليس مجرد أداة لتوكيد الخبر، بل يمثل اختيارًا أسلوبيًا محوريًا أسهم في بناء المعنى العام للسورة؛ إذ ربط قضية الخسران الإنساني بحقيقة الزمن الذي يُعدُّ ميدان العمل ومجال الابتلاء، كما كشف عن إحدى السمات البارزة للخطاب المكي المتمثلة في توظيف القسم والتوكيد لترسيخ الحقائق العقدية والقيم الكبرى.

2.2.2 اختيار التوكيد والاستثناء وأثره في بناء الدلالة.

بعد افتتاح السورة بالقسم جاء جواب القسم في قوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ" (العصر: 2)، وهو تركيب حافل بوسائل التوكيد، الأمر الذي يكشف عن قصدية أسلوبية تتناسب مع طبيعة الخطاب المكي ومقتضياته. فالمتلقي في البيئة المكية كان في كثير من الأحيان منكرًا أو مترددًا في قبول الحقائق العقدية، مما استدعى توظيف أساليب تؤكد المعنى وتقرره في النفس. (الزرقاني، د.ت، ج1/ص. 202 –204).

ويُلاحظ أن الآية الكريمة جمعت بين أكثر من وسيلة من وسائل التوكيد؛ فقد استُعملت (إنَّ) الدالة على توكيد مضمون الجملة، ثم أُتبعت بلام التوكيد في الخبر «لفي»، فضلًا عن مجيء الجملة في سياق قسم سابق، فاجتمع في التركيب القسم و«إنَّ»

واللام، وهو اجتماع نادر يشي بعظم القضية التي يراد تقريرها. (العمادي، د.ت، ج9/ص215).

ولا يقتصر أثر هذه الوسائل على تقوية الحكم فحسب، بل يمتد إلى توجيه المتلقي نحو التسليم بحقيقة الخسران الإنساني الذي يعدُّ محور السورة. فالخسران هنا لم يُعرض بوصفه احتمالًا أو حالة عارضة، وإنما قُدِّم بوصفه حقيقة عامة شاملة تشمل الإنسان من حيث هو إنسان، ما لم تتحقق فيه شروط النجاة التي ستذكرها السورة بعد ذلك.

ومن وجوه الاختيار الأسلوبي كذلك: التعبير بالجملة الاسمية: "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ"، دون العدول إلى الجملة الفعلية. ومعلوم أن الجملة الاسمية أدلُّ على الثبوت والاستقرار من الجملة الفعلية، ولذلك جاء اختيارها ملائمًا للمقام؛ إذ المقصود تقرير قاعدة كلية مستمرة لا حدثًا عارضًا أو واقعة مؤقتة. (الجرجاني، 1992، ص174)

كما يلفت النظر اختيار حرف الجر (في) في قوله: "لَفِي خُسْرٍ"، إذ لم يقل: (الخاسر) أو (خاسر)، بل صوّر الإنسان كأنه منغمس في الخسران ومحاط به من كل جانب. وقد عدّ بعضهم هذا الاستعمال من أبلغ صور التمثيل والتصوير؛ لأنه ينقل المعنى من مجرد الإخبار بالخسارة إلى تصوير الإنسان واقعًا داخل محيطها ومستغرقًا فيها. (الزمخشري، 1947، ج4/ص794)

ثم تنتقل السورة إلى أسلوب الاستثناء في قوله تعالى: "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (العصر: 3). ويُعدّ الاستثناء هنا عنصرًا أساسيًا في البناء الدلالي للسورة؛ إذ جاء بعد تعميم الخسران على جنس الإنسان، ليحدد سبيل النجاة من هذا المصير العام.

كما يُلاحظ أن الاستثناء جاء بعد توكيد الحكم العام بأقوى المؤكدات، مما أكسب المستثنى أهمية خاصة، وجعل صفات النجاة الأربع تبدو كأنها المخرج الوحيد من دائرة الخسران. وهذا الأسلوب من أقوى أساليب القصر؛ لأن السورة حصرت النجاة في هذه الصفات الجامعة، وربطت بينها بواو العطف التي تفيد المشاركة والتكامل، بما يدل على أن بعضها لا يغني عن بعض. (ابن عاشور، 1997، ج30/ص531)

وتكشف هذه الاختيارات التعبيرية عن انسجام واضح مع خصائص الخطاب المكي؛ فقد اجتمع فيها القسم والتوكيد والتعميم والاستثناء والقصر، وهي أدوات تتلاءم مع مقام الدعوة إلى الإيمان وترسيخ الحقائق الكلية في النفوس. ومن ثم فإن البناء الأسلوبي للسورة لم يكن مجرد بناء لغوي، بل كان جزءًا من استراتيجيتها الإقناعية الهادفة إلى تقرير حقيقة الخسران وبيان طريق النجاة منه.

3.2.2 الاختيار الصوتي والإيقاعي في سورة العصر

يُعَدُّ المستوى الصوتي أحد المكونات الرئيسة للبنية الأسلوبية في القرآن الكريم؛ إذ لا تقتصر دلالة النص القرآني على المعاني المعجمية والتركيبية، بل تمتد إلى ما تحدثه الأصوات من أثر نفسي وإيحائي يسهم في توجيه الدلالة وتعميقها. ومن ثم فإن دراسة الاختيار الصوتي في سورة العصر تكشف جانبًا من الانسجام بين البنية الصوتية للسورة ومقاصدها الدلالية. (أنيس، 1975، الأصوات اللغوية، ص142–143)

الاقتباس: بيت المال، رافع محمد. (2026). أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. (22)، 206–227.
https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

وتتميز سورة العصر بإيقاع خاص يتناسب مع طبيعة موضوعها القائم على تقرير حقيقة الخسران الإنساني والتنبيه إلى سبيل النجاة منه. ويظهر هذا الإيقاع منذ مطلع السورة في قوله تعالى: "وَالْعَصْرِ"؛ إذ تتكون الكلمة من أصوات قوية واضحة الجرس، ولا سيما العين والصاد والراء، وهي أصوات تمنح اللفظ قوة سمعية تتناسب مع مقام القسم والتنبيه إلى أهمية المقسَم به. كما أن قصر اللفظ وإيجازه ينسجم مع طبيعة السورة القائمة على التكثيف والتركيز.

ويلاحظ كذلك حضور عدد من الأصوات ذات الجرس القوي في مفردات السورة، مثل: (العصر)، و(خسر)، و(الحق)، و(الصبر). وتتميز هذه الألفاظ باحتوائها على أصوات مفخمة أو مجهورة أو شديدة، مما يضفي على السورة نبرة تتلاءم مع مقام التحذير والتنبيه. فالحديث عن الخسران العام الذي يهدد الإنسان اقتضى بناءً صوتيًا يتسم بالقوة والوضوح؛ ليؤدي دوره في التأثير والإقناع.

ومن المظاهر الصوتية اللافتة في السورة تقارب الفواصل القرآنية؛ إذ تنتهي الآية الأولى والثانية والثالثة بأصوات متقاربة في الجرس: «العصر»، «خسر»، «الصبر». ويؤدي هذا التقارب وظيفة إيقاعية مهمة تتمثل في تحقيق التماسك الصوتي بين أجزاء السورة، بحيث تبدو الآيات الثلاث وكأنها حلقات متصلة في بناء واحد. وقد عدّ البلاغيون الفاصلة القرآنية عنصرًا أساسيًا في تحقيق الانسجام بين المبنى والمعنى، لما تحدثه من أثر موسيقي يسهم في تثبيت المعنى في ذهن المتلقي. (الزركشي، 1988، ج1/ص56)

كما يلحظ في السورة تكرار صوت الراء في فواصلها الرئيسة، وهو صوت يتميز بوضوحه وقابليته للتكرار، مما يمنح الإيقاع قوة وحيوية. ويزداد هذا الأثر بارتباط الراء بألفاظ محورية في السورة مثل: «العصر»، و«خسر»، و«الصبر»، وهي ألفاظ تمثل المفاصل الدلالية الكبرى للنص. ومن ثم فإن التكرار الصوتي هنا لا يؤدي وظيفة جمالية فحسب، بل يسهم في إبراز المحاور المعنوية التي تدور حولها السورة. (فضل، 1998، ص227)

ومن جهة أخرى، تتسم السورة بإيقاع سريع نسبيًا ناتج عن قصر آياتها وقلة مقاطعها الصوتية، وهو ما ينسجم مع طبيعة الخطاب المكي الذي يغلب عليه الإيجاز وقوة التأثير. فالسورة تنتقل من القسم إلى تقرير الحكم، ثم إلى بيان طريق النجاة في عدد محدود من الألفاظ، ومع ذلك تحمل معاني واسعة وأحكامًا كلية. وقد عُدّ هذا التناسب بين قصر المبنى واتساع المعنى من أبرز سمات الإعجاز البياني في القرآن الكريم. (قطب، 2004، التصوير الفني في القرآن ص34)

وبهذا يتضح أن الاختيار الصوتي والإيقاعي في سورة العصر لم يكن عنصرًا مستقلًا عن الدلالة، بل جاء منسجمًا مع موضوع السورة ومقاصدها؛ فالأصوات القوية، والفواصل المتقاربة، والإيقاع المكثف، كلها عناصر أسهمت في بناء جوٍّ من الجدية والتنبيه والتحذير، بما يتوافق مع طبيعة الخطاب المكي الهادف إلى ترسيخ الحقائق العقدية الكبرى في النفوس.

4.2.2 أثر المقام المكي في توجيه الاختيارات الأسلوبية في سورة العصر

تكشف الدراسة لمستويات التعبير في سورة العصر عن ارتباط وثيق بين اختياراتها الأسلوبية وطبيعة المقام الذي نزلت فيه

السورة. فالسورة مكية باتفاق جمهور العلماء. (السيوطي، د.ت، ج1/ص31).

وقد نزلت في مرحلة كانت الدعوة الإسلامية فيها منشغلة بتقرير أصول العقيدة وبناء التصور الإيماني للإنسان والكون والحياة، الأمر الذي انعكس بوضوح على بنيتها التعبيرية واختياراتها اللغوية.

ومن أبرز مظاهر هذا الارتباط افتتاح السورة بالقسم: "وَالْعَصْرِ"، وهو أسلوب يكثر وروده في السور المكية؛ لما يحققه من توكيد وتنبيه وإثارة لاهتمام المخاطب. وقد اقتضى المقام مواجهة حالة الإنكار والغفلة التي كان يعيشها المشركون، فجاء القسم ليلفت الأنظار إلى الحقيقة التي ستقررها السورة، وهي شمول الخسران للإنسان إلا من استكمل أسباب النجاة. (الجوزية، د.ت، ص11)

كما يتجلى أثر المقام المكي في كثافة وسائل التوكيد التي ازدحمت بها السورة، حيث اجتمع القسم و(إنّ) واللام في قوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ". ويُعد هذا التراكم في المؤكدات من السمات المعروفة للخطاب المكي الذي يهدف إلى ترسيخ القضايا العقدية الكبرى في النفوس وإقامة الحجة على المخالفين. فكلما اشتد الإنكار أو عظم الأمر المراد تقريره ازداد حضور وسائل التوكيد في التعبير القرآني. (الزرقاني، د.ت، ج1/ص202)

كما اتسمت السورة بالإيجاز الشديد والتكثيف الدلالي، وهي سمة بارزة في كثير من السور المكية القصيرة. فقد استطاعت السورة في ثلاث آيات فقط أن ترسم تصورًا شاملًا لحقيقة الإنسان ومصيره، وأن تحدد عناصر النجاة في أربعة أصول جامعة هي: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. وهذا الاقتصاد التعبيري يعكس طبيعة الخطاب المكي الذي يميل إلى التركيز على الأصول الكلية والمعاني الجامعة أكثر من ميله إلى التفصيل والتشريع. (قطب، 2003، في ظلال القرآن ج6/ص3964)

ويظهر أثر المقام المكي كذلك في البناء الصوتي للسورة؛ إذ جاء الإيقاع قويًا متماسكًا، واتسمت الفواصل بقصرها وتقاربها، مما أكسب السورة جرسًا مؤثرًا ينسجم مع وظيفة التنبيه والتحذير.

ويضاف إلى ذلك أن السورة لم تتناول حكمًا تشريعيًا أو قضية تنظيمية، وإنما ركزت على حقيقة إنسانية كلية تتجاوز حدود الزمان والمكان، وهو ما ينسجم مع الموضوعات الرئيسة للخطاب المكي التي تدور حول العقيدة والقيم الكبرى ومصير الإنسان. ومن ثم جاءت اختياراتها الأسلوبية متجهة إلى التوكيد والتعميم والقصر والإيجاز، وكلها أدوات تخدم هذا المقصد وتنسجم مع متطلبات المرحلة المكية.

وخلاصة القول فإن الاختيارات الأسلوبية في سورة العصر لم تكن مجرد وسائل تعبيرية منفصلة، بل جاءت استجابة لمقتضيات المقام المكي وأهدافه. فالقسم والتوكيد والإيجاز والإيقاع المكثف كلها عناصر تضافرت لتكوين خطاب قرآني قادر على ترسيخ حقيقة الخسران الإنساني، وبيان طريق النجاة منه بأوجز لفظ وأبلغ أسلوب، مما يجعل السورة نموذجًا واضحًا لتأثير المقام في توجيه الاختيار الأسلوبي في القرآن الكريم.

الاقتباس: بيت المال، رافع محمد. (2026). أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. (22)، 206–227.
https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

3.2 الاختيار الأسلوبي في سورة النصر وتمثله لخصائص الخطاب المدني

1.3.2 اختيار الفعل الماضي في التعبير عن النصر وأثره في بناء المعنى

تفتتح سورة النصر خطابها بقوله تعالى: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" (النصر: 1)، حيث اختير الفعل الماضي: (جاء) للتعبير عن النصر والفتح، وهو اختيار يلفت الانتباه من الناحية الأسلوبية؛ لأن دلالة الماضي في أصل وضعها اللغوي تدل على حدث وقع وانقضى، في حين أن مضمون الآية يتعلق بأمر كان مستقبلًا بالنسبة إلى زمن النزول أو في حكم المنتظر وقوعه. ومن ثم فإن العدول إلى صيغة الماضي يثير سؤالًا عن سر هذا الاختيار وعلاقته بالمقصد الدلالي للسورة. (الزمخشري، 1947، ج4/ص810)

وقد تنبه المفسرون والبلاغيون إلى هذه الظاهرة، ورأوا أن التعبير بالماضي في مثل هذا السياق يفيد تحقق الوقوع وتأكيده، حتى يُنزَّل المستقبل منزلة الواقع المشاهد لفرط اليقين بحدوثه. فالأمر الموعود من الله تعالى لا مجال للشك فيه، ولذلك جيء به في صورة ما وقع وانتهى، إيذانًا بتحققه وثبوته. (الرازي، د.ت، ج30/ص110)

ويُعد هذا الاستعمال من الأساليب القرآنية البليغة التي تنقل المعنى من دائرة التوقع إلى دائرة اليقين.

ويُلاحظ أن السورة لم تقل: (إذا يجيء نصر الله) أو (إذا يأتي نصر الله)، بل اختارت الفعل الماضي (جاء)؛ لما يحمله من دلالة على الحضور والظهور بعد انتظار. فالفعل «جاء» يوحي بحركة مقبلة تنتهي بالوصول والتحقق، وهو ما ينسجم مع طبيعة الحدث الذي تتحدث عنه السورة، إذ يتعلق بتمام الدعوة وظهور آثارها في الواقع. (ابن عاشور، 1997، ج30/ص590)

كما أن إسناد النصر إلى اسم الجلالة في قوله: "نَصْرُ اللَّهِ" يضفي على الحدث بعدًا عقديًا خاصًا؛ فالنصر ليس ثمرة أسباب بشرية مجردة، وإنما هو عطاء إلهي ومنحة ربانية. ومن ثم جاء التعبير مركزًا على مصدر النصر قبل الحديث عن آثاره ونتائجه، بما يعمّق في النفوس معنى الافتقار إلى الله وشهود فضله. (ابن عاشور، 1997، ج30/ص590)

ويعزز هذا المعنى اقتران النصر بالفتح في نسق عطف يجمع بين السبب والنتيجة أو بين العام والخاص؛ إذ فُسِّر الفتح عند كثير من المفسرين بفتح مكة، في حين أن النصر أعم منه وأشمل. وبذلك تتدرج السورة في تصوير تحقق الوعد الإلهي من النصر العام إلى مظهره الأبرز المتمثل في الفتح. (الطبري، د.ت، ج24/ص699)

ومن منظور أسلوبي، يكشف اختيار الفعل الماضي عن إحدى السمات البارزة في الخطاب المدني، وهي الانتقال من مرحلة الوعد والتأسيس إلى مرحلة تحقق النتائج وظهور آثار الرسالة في المجتمع. فإذا كانت سورة العصر المكية قد افتتحت بالقسم لتقرير حقيقة عقدية كلية، فإن سورة النصر المدنية افتتحت بالإخبار عن تحقق الوعد الإلهي، وهو ما ينسجم مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها السورة، حيث انتقلت الدعوة من طور المواجهة والتأسيس إلى طور التمكين والانتشار.

ويظهر مما تقدم أن اختيار الفعل الماضي في مطلع سورة النصر لم يكن مجرد اختيار نحوي أو زمني، بل كان اختيارًا أسلوبيًا

مقصودًا أدى وظيفة دلالية وبلاغية مهمة؛ إذ عبّر عن اليقين بتحقق الوعد الإلهي، وأبرز اكتمال مسيرة الدعوة، ومهّد للانتقال إلى ما تضمنته السورة بعد ذلك من توجيه النبي ﷺ إلى التسبيح والاستغفار عند تمام النعمة.

2.3.2 الانتقال من الخبر إلى الأمر وأثره في بناء الدلالة

تقوم سورة النصر على بناء تعبيري متدرّج يبدأ بالإخبار عن تحقق النصر وظهور آثاره، ثم ينتهي إلى توجيه النبي ﷺ إلى التسبيح والاستغفار. ويتجلى هذا التدرج في الانتقال من الأسلوب الخبري في قوله تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا" (النصر: 1–2) إلى الأسلوب الإنشائي الطلبي في قوله تعالى: "فسبح بحمد ربك واستغفره" (النصر: 3). ويكشف هذا الانتقال عن اختيار أسلوبي مقصود يرتبط بمقصد السورة وسياقها التاريخي والدعوي. (ابن عاشور، 1947، ج30/ص589، 590)

ففي الآيتين الأوليين يسود الأسلوب الخبري الذي يعرض وقائع النصر والفتح وانتشار الإسلام عرضًا تقريريًا. والخبر هنا ليس مجرد نقل لمعلومة، بل هو إخبار يراد به تثبيت معنى تحقق الوعد الإلهي وإظهار صدق البشارة التي وعد الله بها نبيه ﷺ. وقد جاء هذا الإخبار في صورة مشاهد متتابعة: مجيء النصر، ثم الفتح، ثم دخول الناس في الدين أفواجًا، بما يمنح السورة حركة تصويرية متدرجة تنقل المتلقي من الحدث إلى أثره المباشر في الواقع. (ابن عاشور، 1984، ج30/ص614)

غير أن السورة لا تقف عند حدود وصف النصر وآثاره، بل تنتقل إلى توجيه عملي يحدد الموقف الذي ينبغي أن يقابل به المؤمن تحقق هذه النعمة. فجاءت الفاء في قوله تعالى: "فسبح" لتفيد التعقيب والترتيب، وكأن السورة تجعل التسبيح والاستغفار نتيجة طبيعية لتحقق النصر والفتح. وبذلك يرتبط الخبر بالأمر ارتباط السبب بالنتيجة، فلا يكون النصر غاية في ذاته، بل مدخلًا إلى مزيد من العبودية والخضوع لله تعالى. (الزمخشري، 1947، ج4/ص818)

ومن الناحية الأسلوبية، يمثل هذا الانتقال من الخبر إلى الأمر تحولًا في وظيفة الخطاب؛ إذ ينتقل من مرحلة الإخبار بالواقع إلى مرحلة توجيه السلوك. ويُلاحظ أن الأمرين الواردين في السورة هما: (سبّح) و(استغفر)، ولم يأتِ الأمر بالشكر أو الفرح أو الاحتفاء بالنصر، مع أن المقام قد يوحي بذلك. وهذا الاختيار يكشف عن خصوصية الرؤية القرآنية للنصر؛ إذ تربطه بالله تعالى لا بالإنجاز البشري، وتوجه النفس إلى التواضع بدل الاغترار، وإلى الاستغفار بدل الإعجاب بالعمل. (السامرائي، 2006، ص102)

كما أن الجمع بين التسبيح والاستغفار يحمل دلالة خاصة؛ فالتسبيح يتضمن تنزيه الله تعالى والثناء عليه، والاستغفار يتضمن الاعتراف بالتقصير وطلب المغفرة. ومن ثم يجمع الخطاب بين مقام الشكر ومقام العبودية، ويؤكد أن اكتمال النعمة لا يخرج الإنسان من دائرة الحاجة إلى ربه، بل يزيده قربًا منه وخضوعًا له. (الرازي، د.ت، ج32/ص112)

ويُلاحظ كذلك أن الأسلوب الإنشائي في خاتمة السورة جاء موجزًا ومكثفًا، شأنه شأن بقية السورة، غير أنه نقل الخطاب من دائرة الحدث الخارجي إلى دائرة التزكية الداخلية. فبعد أن عرضت السورة مشهدًا جماعيًا يتمثل في دخول الناس في دين الله أفواجًا،

الاقتباس: بيت المال، رافع محمد. (2026). أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. (22)، 206–227.
https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

انتهت إلى توجيه فردي موجه إلى النبي ﷺ، بما يوحي بأن نجاح الدعوة واتساع أثرها لا ينبغي أن يصرف الداعية عن محاسبة نفسه والإقبال على ربه. (قطب، 2003، في ظلال القرآن ج6/ص4003)

وعليه فإن الانتقال من الخبر إلى الأمر في سورة النصر لم يكن مجرد تنوع تعبيري، بل كان اختيارًا أسلوبيًا يؤدي وظيفة دلالية مركزية؛ إذ ربط بين تحقق النصر ومقتضياته الإيمانية، وحوّل الخطاب من وصف الحدث إلى بيان الموقف الشرعي والنفسي المطلوب عند وقوعه، وهو ما ينسجم مع طبيعة الخطاب المدني الذي يعنى بتوجيه الجماعة المؤمنة وتربية أفرادها بعد مرحلة التمكين.

3.3.2 اختيار الألفاظ ذات البعد الجماعي وأثرها في بناء المعنى

تتميز سورة النصر باحتوائها على مجموعة من الألفاظ والتراكيب التي تتجاوز الدلالة الفردية إلى الدلالة الجماعية، وهو اختيار أسلوبي ينسجم مع طبيعة المرحلة المدنية التي نزلت فيها السورة، حيث انتقلت الدعوة الإسلامية من طور الاستضعاف والمواجهة إلى طور الانتشار والتمكين. ويظهر ذلك بوضوح في قوله تعالى: "ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا" (النصر: 2).

يُلاحظ أولًا: اختيار لفظ: (الناس) دون غيره من الألفاظ الممكنة، كالمؤمنين أو العرب أو القبائل. فجاء التعبير عامًا ليشير إلى اتساع دائرة الاستجابة للدعوة الإسلامية وشمولها لفئات متعددة من البشر. وقد رأى بعض المفسرين أن المراد بذلك ما وقع بعد فتح مكة من إقبال القبائل العربية على الإسلام ودخولها فيه جماعات متتابعة بعد أن كانت تدخل فيه أفرادًا متفرقين. (الطبري، 2000، ج24/ص700)

ويعزز هذا المعنى اختيار الفعل المضارع: (يدخلون)، إذ يفيد التجدد والاستمرار، ويصور حركة الناس وهم يقبلون على الإسلام في مشهد متتابع متجدد. ولم يأت التعبير بالفعل الماضي، مع أن الحديث عن حدث متحقق؛ لأن المقصود تصوير عملية الدخول في الدين وهي تتكرر وتتسع أمام عين المتلقي. ومن ثم أسهم اختيار المضارع في إضفاء الحيوية والحركة على المشهد القرآني. (الزمخشري، 1947، ج4/ ص819)

ومن أبرز مظاهر الاختيار الأسلوبي في الآية اختيار لفظ: (أفواجًا)، وهو جمع يدل على الجماعات الكثيرة المتتابعة. وقد كان من الممكن أن يقال: (كثيرًا) أو("جماعات)، غير أن لفظ: (أفواجًا) يحمل إيحاءً بالحركة والتنظيم والتتابع، ويصور الناس وهم يقبلون على الإسلام في مجموعات متلاحقة. ولهذا اللفظ أثر خاص في تجسيد التحول التاريخي الذي شهدته الدعوة الإسلامية بعد الفتح، حين انتقلت من مرحلة الاستجابة الفردية المحدودة إلى مرحلة الانتشار الجماعي الواسع. (ابن عاشور، 1984، ج30/ ص616)

ويكشف هذا البناء التعبيري عن انتقال واضح من التركيز على الفرد إلى التركيز على الجماعة؛ فالسورة لا تتحدث عن إيمان أفراد معدودين، بل عن ظاهرة اجتماعية واسعة تتمثل في دخول الناس في دين الله على نطاق كبير. ومن ثم جاءت ألفاظها متناسبة مع هذا المعنى، فاختيرت ألفاظ ذات امتداد جمعي تعكس واقع المجتمع الإسلامي في مرحلة التمكين والانتشار.

كما يلحظ أن السورة نسبت الدين إلى الله تعالى في قوله: "في دين الله"، وهو اختيار يحمل دلالة عقدية وبلاغية في آن واحد؛ إذ يربط هذا الانتشار بالله سبحانه وتعالى، ويؤكد أن ما تحقق من نجاح وانتشار إنما هو ثمرة للهداية الإلهية والتوفيق الرباني، لا مجرد نتاج للقدرات البشرية. وبذلك يظل البعد العقدي حاضرًا حتى في سياق الحديث عن الظاهرة الجماعية. (السامرائي، 2006، ص103)

تعكس هذه الاختيارات ـ من منظور أسلوبي ـ طبيعة الخطاب المدني الذي يعنى ببناء الجماعة المؤمنة وتوجيهها ورصد تحولات المجتمع الإسلامي. فإذا كانت سورة العصر المكية قد ركزت على مصير الإنسان الفرد ومسؤوليته الشخصية، فإن سورة النصر أبرزت نجاح الرسالة في المجال الاجتماعي واتساع نطاقها بين الناس. ومن ثم جاءت ألفاظها متجهة إلى تصوير الجماعة والحركة والانتشار، بما ينسجم مع طبيعة المرحلة المدنية ومقاصدها.

ويتضح من ذلك أن اختيار الألفاظ ذات البعد الجماعي في سورة النصر لم يكن اختيارًا عرضيًا، بل كان جزءًا من البناء الدلالي للسورة؛ إذ أسهم في تصوير اكتمال الدعوة وانتشارها، وأبرز انتقال الإسلام من دائرة الأفراد إلى دائرة الأمة، وهو ما يمثل أحد أبرز ملامح الخطاب القرآني في المرحلة المدنية.

4.3.2 أثر المقام المدني في توجيه الاختيارات الأسلوبية في سورة النصر

تكشف القراءة الأسلوبية لسورة النصر عن ارتباط وثيق بين بنيتها التعبيرية وطبيعة المقام المدني الذي نزلت فيه السورة. فقد نزلت في مرحلة متأخرة من مسيرة الدعوة الإسلامية، بعد أن انتقل الإسلام من طور الاستضعاف والمواجهة إلى طور التمكين والانتشار، الأمر الذي انعكس على اختياراتها اللغوية والتركيبية والدلالية. (السيوطي، 1974، ج1/ص36)

ومن أبرز مظاهر هذا الارتباط اختيار الفعل الماضي في قوله تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح"؛ إذ لم يُعبَّر عن النصر بصيغة الاستقبال أو التوقع، بل بصيغة الماضي التي تفيد التحقق والثبوت. ويكشف هذا الاختيار عن طبيعة المرحلة المدنية التي أصبحت فيها بشارات النصر واقعًا مشهودًا أو في حكم الواقع المتيقن وقوعه. ومن ثم جاء التعبير ملائمًا لمقام اكتمال الدعوة وظهور آثارها في المجتمع. (الرازي، 1420هـ، ج32/ص110)

كما يتجلى أثر المقام المدني في البناء العام للسورة القائم على الانتقال من الخبر إلى الأمر. فقد بدأت السورة بالإخبار عن تحقق النصر والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجًا، ثم انتقلت إلى توجيه النبي ﷺ بقوله تعالى: "فسبح بحمد ربك واستغفره". وهذا التدرج من وصف الواقع إلى توجيه السلوك يعكس إحدى السمات البارزة للخطاب المدني الذي يُعنى بتربية الجماعة المؤمنة وتقويمها بعد استقرار أصول العقيدة في النفوس. (ابن عاشور، 1984، ج30/ص617)

ويظهر أثر المقام المدني كذلك في اختيار الألفاظ ذات الامتداد الجماعي، مثل: (الناس) و(أفواجًا). فالسورة لا تتحدث عن إيمان أفراد متفرقين كما كان الشأن في بدايات الدعوة، وإنما تصور ظاهرة اجتماعية واسعة تتمثل في دخول جماعات كبيرة في الإسلام. وقد اقتضى هذا الواقع الجديد اختيار ألفاظ تعبر عن الكثرة والانتشار والحركة الجماعية، بما يتناسب مع طبيعة المرحلة التاريخية التي نزلت فيها السورة. (الطبري، 2000، ج24/ص700)

الاقتباس: بيت المال، رافع محمد. (2026). أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. (22)، 206–227.
https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

ومن جهة أخرى، يلحظ أن السورة خلت من أساليب التوكيد الكثيفة التي ظهرت في سورة العصر، فلم يرد فيها قسم، ولا توكيد بـ(إنّ) أو اللام؛ لأن المقام لا يقتضي مواجهة منكرين أو إقامة الأدلة على أصول العقيدة، وإنما يقتضي توجيه المؤمنين إلى الموقف الصحيح بعد تحقق النصر. وهذا الفارق يعكس أثر اختلاف المقامين في توجيه الاختيار الأسلوبي؛ فلكل مقام ما يناسبه من وسائل التعبير. (الزرقاني، د.ت، ج1/ص201)

كما أن خاتمة السورة تكشف عن خصوصية الرؤية القرآنية للتمكين والنصر؛ إذ لم تتجه إلى تمجيد الإنجاز أو الاحتفاء بالفتح، بل وجهت إلى التسبيح والاستغفار. ويعد هذا الاختيار من أبرز سمات الخطاب المدني في مرحلته المتأخرة، حيث ينتقل الاهتمام من مجرد تحقيق المكاسب الظاهرة إلى ترسيخ القيم الإيمانية التي تضبط سلوك الجماعة وتحفظها من الغرور والانحراف. (السامرائي، 2006، ص102)

ومن ثم يمكن القول إن الاختيارات الأسلوبية في سورة النصر جاءت انعكاسًا مباشرًا لخصائص المقام المدني؛ فقد غلب عليها الإخبار بتحقق الوعد، وتصوير الانتشار الجماعي للدعوة، والتوجيه التربوي للمؤمنين، وهي سمات تنسجم مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها السورة. وبهذا تمثل سورة النصر نموذجًا واضحًا لتأثير المقام المدني في تشكيل البنية التعبيرية للخطاب القرآني وتوجيه اختياراته الأسلوبية.

4.2 المقارنة بين سورتي العصر والنصر في ضوء الاختيار الأسلوبي

1.4.2 مواضع الاتفاق في الاختيار الأسلوبي بين السورتين

على الرغم من اختلاف سورتي العصر والنصر من حيث زمن النزول وانتماء الأولى إلى المرحلة المكية والثانية إلى المرحلة المدنية، فإن بينهما قدرًا ملحوظًا من أوجه الاتفاق الأسلوبي التي تكشف عن وحدة النسق البياني للقرآن الكريم، وتؤكد أن اختلاف المقامات لا يلغي وحدة الخصائص العامة للخطاب القرآني.

ومن أبرز مظاهر الاتفاق بين السورتين اعتمادهما على الإيجاز الشديد والتكثيف الدلالي؛ فكلتاهما من قصار السور التي بُنيت على عدد محدود من الألفاظ والتراكيب، ومع ذلك اشتملت كل سورة على معانٍ واسعة تتجاوز حدود ألفاظها القليلة. فقد لخصت سورة العصر حقيقة مصير الإنسان وطريق نجاته في ثلاث آيات، بينما لخصت سورة النصر خاتمة مسيرة الدعوة الإسلامية وما ينبغي أن يقابل به النصر من عبودية وشكر في ثلاث آيات كذلك. (قطب، 2003، في ظلال القرآن ج6/ ص3981)

ومن أوجه الاتفاق ـ أيضًا ـ إحكام البناء النصي ووحدة الموضوع؛ إذ تدور كل سورة حول محور دلالي واحد تتفرع عنه بقية المعاني. فسورة العصر تقوم على محور الخسران والنجاة، وتنتظم جميع عناصرها حول هذا المعنى المركزي، في حين تقوم سورة النصر على محور تحقق النصر وما يقتضيه من تسبيح واستغفار. وقد عدّ بعض الدارسين وحدة الموضوع من أبرز مظاهر التماسك النصي في السور القصار. (أنيس، د.ت، دلالة الألفاظ ص184)

كما تشترك السورتان في اعتماد أسلوب التقرير والحسم في عرض المعاني. فسورة العصر تقرر حقيقة كلية هي وقوع الإنسان في الخسران إلا من اتصف بصفات مخصوصة، وسورة النصر تقرر

الاقتباس: بيت المال، رافع محمد. (2026). أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. (22)، 206–227.
https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

تحقق الوعد الإلهي بظهور الدين وانتشاره. وفي كلتا الحالتين يبدو الخطاب جازمًا بعيدًا عن التردد أو الاحتمال، الأمر الذي ينسجم مع طبيعة الحقائق التي يعرضها القرآن الكريم. (الرازي، 1420هـ، ج32/ص85 وص110)

ويظهر الاتفاق كذلك في دقة اختيار الألفاظ وملاءمتها للسياق. فكل لفظة في السورتين تؤدي وظيفة دلالية محددة داخل البناء العام للنص، بحيث يصعب استبدالها بغيرها دون أن يتأثر المعنى أو الأثر البياني. وقد نبه علماء البلاغة إلى أن من وجوه الإعجاز القرآني دقة الاختيار اللفظي وارتباطه الوثيق بمقتضيات السياق والمقام. (الجرجاني، 1992، ص52)

وتتميز السورتان من ناحية البنية الإيقاعية بتقارب الفواصل وقصر الآيات، الأمر الذي يمنحهما إيقاعًا واضحًا يسهل تلقيه وحفظه. ففي سورة العصر تتقارب فواصل: (العصر)، (خسر)، (الصبر)، وفي سورة النصر تتكرر الفواصل المنتهية بالألف مثل: (أفواجًا)، (توابًا)، مع ما يحدثه ذلك من انسجام صوتي يسهم في ترسيخ المعنى في الذهن. (الزركشي، د.ت، ج1/ص380)

كما تشترك السورتان في توظيف الاختيار الأسلوبي لخدمة المقصد الرئيس للسورة؛ فالعناصر الصوتية والتركيبية والدلالية ليست منفصلة عن المعنى، وإنما تتضافر جميعها لتحقيق الغاية التي يدور حولها الخطاب. وهذا التلاحم بين المبنى والمعنى يمثل سمة عامة من سمات التعبير القرآني في مختلف مراحله المكية والمدنية. (عبد المطلب، 1994، ص101)

مما تقدم يتضح أن اختلاف المقام بين السورتين لم يحل دون اشتراكهما في عدد من الخصائص الأسلوبية العامة، مثل: الإيجاز والتكثيف ووحدة الموضوع ودقة الاختيار اللفظي والتماسك الإيقاعي. وتمثل هذه السمات المشتركة جانبًا من الوحدة البيانية للقرآن الكريم، وهي تمهد للوقوف على أوجه الاختلاف التي فرضها اختلاف المقام التنزيلي بين السورتين.

2.4.2 مواضع الاختلاف في الاختيار الأسلوبي بين سورتي العصر والنصر

على الرغم من اشتراك سورتي العصر والنصر في عدد من السمات البيانية العامة، فإن بينهما فروقًا أسلوبية واضحة تعكس اختلاف المقام التنزيلي بين السورتين، واختلاف الغايات التي توجه إليها الخطاب في كل منهما. وتظهر هذه الفروق في مستويات متعددة تشمل بناء السورة، واختيار الألفاظ، والصيغ التركيبية، والوظائف التداولية للخطاب.

فمن أبرز مظاهر الاختلاف افتتاح كل سورة بأسلوب ينسجم مع مقصدها العام؛ إذ افتتحت سورة العصر بالقسم في قوله تعالى: "والعصر"، وهو أسلوب يرتبط غالبًا بمقام التوكيد والتنبيه وإقامة الحجة، وهي وظائف تكثر في الخطاب المكي. أما سورة النصر فقد افتتحت بأسلوب شرطي خبري في قوله تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح"، وهو افتتاح يقوم على الإخبار بتحقق الوعد الإلهي واستحضار نتائجه، بما يتناسب مع طبيعة الخطاب المدني في مرحلة التمكين. (ابن عاشور، 1984، ج30/ ص614، والرازي،1420 هـ، ج32/ ص85، وص110)

ويظهر الاختلاف كذلك في درجة التوكيد. فسورة العصر بنيت على منظومة متكاملة من المؤكدات؛ إذ اجتمع فيها القسم و(إنَّ) واللام والاستثناء، كما في قوله تعالى: "إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا". أما سورة النصر فغلب عليها الأسلوب

الخبري المباشر دون اعتماد كثيف على وسائل التوكيد؛ لأن المقام ليس مقام مواجهة منكرين، وإنما مقام توجيه المؤمنين بعد ظهور الحق واستقرار الدعوة. (الزرقاني، د.ت، ج1/ ص201)

ومن أوجه الاختلاف ـ أيضًا ـ طبيعة المخاطب الذي يتوجه إليه الخطاب. ففي سورة العصر يبرز الإنسان بوصفه فردًا مسؤولًا عن مصيره، ولذلك جاء التعبير بلفظ: (الإنسان) المفرد الدال على الجنس. أما في سورة النصر فتتجه الأنظار إلى الجماعة؛ إذ وردت ألفاظ مثل: (الناس) و(أفواجًا)، بما يعكس انتقال الخطاب من معالجة قضية الفرد إلى تصوير واقع الجماعة المؤمنة واتساع دائرة الدعوة. (الطبري،2000، ج24/ ص589)

ويبدو هذا الاختلاف أكثر وضوحًا في المجال الدلالي الذي تدور حوله كل سورة؛ فسورة العصر تتمحور حول الخسران والنجاة، وهي معانٍ تتصل ببناء العقيدة وتقويم السلوك الفردي. أما سورة النصر فتدور حول النصر والفتح وانتشار الدين، وهي معانٍ ترتبط بواقع الأمة ومراحل تطور الدعوة الإسلامية. ولذلك اختلفت الألفاظ المختارة في كل سورة تبعًا لاختلاف المقصد والموضوع. (قطب، 2003، في ظلال القرآن ج6/ ص3981، وص4002)

كما تختلف السورتان في طبيعة الحركة الزمنية داخل الخطاب. فسورة العصر تعتمد الجمل الاسمية التي توحي بالثبات والاستمرار، كما في قوله تعالى: "إن الإنسان لفي خسر"، لأن المقصود تقرير حقيقة كلية ثابتة. أما سورة النصر فتقوم على تتابع الأفعال: (جاء)، (رأيت)، (يدخلون)، (سبح)، (استغفر)، وهو ما يمنح الخطاب حركة زمنية متدرجة تعكس تطور الحدث من تحقق النصر إلى بيان الموقف المطلوب بعده. (الجرجاني، 1992، ص196)

ومن الناحية الإيقاعية، تتسم سورة العصر بإيقاع قوي مكثف يناسب مقام التحذير والتنبيه، وتبرز فيه أصوات مثل: الصاد والخاء والراء في كلمات: (العصر)، (خسر)، (الصبر). أما سورة النصر فيغلب عليها إيقاع أكثر هدوءًا وانبساطًا، يتلاءم مع جو السكينة والاطمئنان المصاحب لاكتمال النعمة وتمام الرسالة. ومن ثم اختلف الإيقاع تبعًا لاختلاف الجو النفسي الذي تسعى كل سورة إلى بنائه في ذهن المتلقي.

ويتمثل الفارق الأبرز بين السورتين في الوظيفة التداولية للخطاب؛ فسورة العصر تتجه إلى الإنذار والتنبيه وإقامة المعيار الذي يحدد النجاة والخسران، بينما تتجه سورة النصر إلى التوجيه التربوي وتعليم المؤمنين كيفية التعامل مع النصر والتمكين. وهذا التحول من خطاب الإنذار إلى خطاب التوجيه يعكس انتقال الدعوة الإسلامية من مرحلة التأسيس العقدي إلى مرحلة اكتمال البناء وظهور الثمرة.

ومن ثم يتبين أن الفروق الأسلوبية بين السورتين ليست فروقًا شكلية، وإنما هي فروق وظيفية فرضها اختلاف المقام والغاية والسياق. فكل اختيار تعبيري في السورتين جاء منسجمًا مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها السورة، ومحققًا للمقصد الذي سيق الخطاب من أجله.

3.4.2 أثر المقام المكي والمدني في توجيه الاختيار الأسلوبي في السورتين

تكشف المقارنة بين سورتي العصر والنصر أن الاختيار الأسلوبي في القرآن الكريم لا ينفصل عن المقام الذي يرد فيه

الخطاب، بل يتشكل في ضوء مقتضياته وأهدافه ووظائفه التواصلية. ومن ثم فإن الفروق الأسلوبية الملحوظة بين السورتين لا ترجع إلى مجرد تنوع في التعبير، وإنما تعكس اختلاف المرحلة التي نزلت فيها كل سورة، وما تفرضه تلك المرحلة من حاجات دعوية وتربوية وبلاغية. فقد نزلت سورة العصر في المرحلة المكية، وهي مرحلة اتسمت بمواجهة الإنكار وترسيخ أصول العقيدة وبناء التصور الإيماني للإنسان والحياة. ولذلك جاءت اختياراتها الأسلوبية متجهة إلى التوكيد والتركيز والإيجاز، فافتتحت بالقسم، وأكّدت مضمونها بوسائل متعددة، واعتمدت الجمل الاسمية الدالة على الثبات والاستقرار، كما ركزت على مصير الإنسان الفرد ومسؤوليته عن نجاته أو خسرانه. وقد أسهمت هذه الاختيارات جميعًا في ترسيخ الحقيقة المركزية التي تدور حولها السورة، وهي أن النجاة لا تتحقق إلا باجتماع الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. (الجوزية، د.ت، ص11، والرازي، 1420هـ، ج32/ص85)

أما سورة النصر فقد نزلت في أواخر العهد المدني، بعد أن استقرت الدعوة الإسلامية وظهرت آثارها في الواقع الاجتماعي. ولهذا اتجهت اختياراتها الأسلوبية إلى تصوير تحقق الوعد الإلهي وبيان الموقف المطلوب بعد التمكين. فجاءت الأفعال محور البناء التعبيري في السورة، وتدرجت من الإخبار عن النصر والفتح إلى الأمر بالتسبيح والاستغفار، كما برزت الألفاظ الدالة على الجماعة والانتشار، مثل: (الناس) و(أفواجًا)، بما ينسجم مع طبيعة المرحلة التي انتقلت فيها الدعوة من مخاطبة الأفراد إلى بناء الأمة. (ابن عاشور، 1984، ج24/ ص699)

ويظهر أثر المقام كذلك في درجة التوكيد المستخدمة في كل سورة؛ إذ كثرت المؤكدات في سورة العصر؛ لأن المقام مقام تقرير حقائق كلية ومواجهة مواقف الإنكار والجدل، في حين قلَّت في سورة النصر؛ لأن الخطاب فيها موجّه إلى المؤمنين في سياق تحقق الوعد وظهور نتائجه. ومن ثم اختلفت الوسائل التعبيرية باختلاف الوظيفة التي يؤديها الخطاب في كل مقام. (الزرقاني، د.ت، ج1/ص201)

كما انعكس اختلاف المقامين على البناء الإيقاعي للسورتين؛ فالإيقاع المكثف في سورة العصر ينسجم مع جو التحذير والتنبيه الذي يطبع الخطاب المكي، في حين يتلاءم الإيقاع الأكثر هدوءًا في سورة النصر مع جو الطمأنينة المصاحب لاكتمال النعمة وتمام الرسالة. ويؤكد ذلك أن العنصر الصوتي في القرآن الكريم ليس عنصرًا زخرفيًا، بل جزء من النظام الدلالي للنص، يسهم في أداء معانيه وتحقيق مقاصده. (أنيس، 1975، الأصوات اللغوية ص145)

وتبرز من خلال هذه المقارنة حقيقة أساسية مفادها: أن الاختيار الأسلوبي في القرآن الكريم يقوم على مبدأ المناسبة بين التعبير والمقام؛ فالألفاظ والتراكيب والصيغ والأصوات لا تُختار بمعزل عن السياق، وإنما تُنتقى بما يحقق أعلى درجات الملاءمة للمقصد الذي يراد تبليغه. ولذلك جاءت سورة العصر معبرة عن خصائص المرحلة المكية في تركيزها على العقيدة والإنذار، في حين جاءت سورة النصر معبرة عن خصائص المرحلة المدنية في اهتمامها بالتوجيه التربوي وتصوير اكتمال الدعوة وانتشارها.

وبناءً على ذلك يمكن القول: إن دراسة السورتين في ضوء الاختيار الأسلوبي تكشف عن جانب من جوانب الإعجاز البياني للقرآن الكريم، يتمثل في قدرة الخطاب القرآني على

الاقتباس: بيت المال، رافع محمد. (2026). أسلوبية الاختيار في سورتي العصر والنصر: دراسة أثر المقام المكي والمدني في بناء التعبير القرآني. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. (22)، 206–227.
https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

توظيف الوسائل التعبيرية المختلفة توظيفًا دقيقًا يتلاءم مع مقتضيات الأحوال وتغير المقامات، مع المحافظة في الوقت نفسه على وحدة النسق البياني للقرآن وترابط أجزائه. ومن ثم فإن اختلاف الأساليب بين السورتين لا يمثل تباينًا في المستوى البياني، بل يمثل تنوعًا وظيفيًا تحكمه غايات الخطاب ومقاصده.

3. النتائج

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أبرزها:

1. أن الاختيار الأسلوبي في القرآن الكريم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمقتضيات المقام، ويتغير تبعًا لاختلاف الغاية والسياق ووظيفة الخطاب.
2. أن سورة العصر تمثل نموذجًا واضحًا لخصائص الخطاب المكي؛ إذ غلب عليها القسم والتوكيد والقصر والإيجاز، وهي أدوات تخدم بناء العقيدة وترسيخ الحقائق الكلية.
3. أن افتتاح سورة العصر بالقسم ﴿والعصر﴾ يمثل اختيارًا أسلوبيًا مقصودًا ينسجم مع موضوع السورة القائم على الزمن بوصفه ميدان الخسران والنجاة.
4. أن منظومة التوكيد في سورة العصر المتمثلة في القسم و(إنّ) واللام والاستثناء أسهمت في تقرير حقيقة الخسران الإنساني وتأكيدها.
5. أن البناء الصوتي في سورة العصر، ولا سيما تقارب الفواصل وتكرار بعض الأصوات المحورية، أسهم في تعزيز جو التحذير والتنبيه الذي ينسجم مع طبيعة الخطاب المكي.
6. أن سورة النصر تمثل نموذجًا لخصائص الخطاب المدني في مرحلة اكتمال الدعوة وظهور آثارها في الواقع الاجتماعي.
7. أن اختيار الفعل الماضي في قوله تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح" أفاد تحقق الوقوع واستحضار النصر في صورة الحدث المتحقق.
8. أن الانتقال من الخبر إلى الأمر في سورة النصر يمثل اختيارًا أسلوبيًا يعكس تحول الخطاب من وصف النعمة إلى بيان الموقف الإيماني المطلوب تجاهها.
9. أن الألفاظ ذات البعد الجماعي في سورة النصر، مثل: (الناس) و(أفواجًا)، تعكس طبيعة المرحلة المدنية التي اتسمت بانتشار الدعوة واتساع دائرتها.
10. أن المقارنة بين السورتين أثبتت أن اختلاف الأساليب القرآنية لا يعود إلى التنوع الشكلي، بل إلى اختلاف المقامات والأهداف التي ينهض بها الخطاب.
11. أن وحدة النسق البياني للقرآن الكريم تظل قائمة على الرغم من تنوع الأساليب بين السور المكية والمدنية.

4.الخاتمة

سعت الدراسة إلى الكشف عن أثر الاختيار الأسلوبي في بناء الدلالة في سورتي: العصر والنصر، من خلال مقاربة تجمع بين التحليل البلاغي والأسلوبي، وتستحضر أثر المقام التنزيلي في توجيه الاختيارات التعبيرية في كل سورة. وقد انطلقت الدراسة من فرضية: مؤداها أن الاختيار الأسلوبي في القرآن الكريم ليس إجراءً لغويًا عارضًا، وإنما هو اختيار مقصود تحكمه طبيعة المقام وأهداف الخطاب ووظائفه التداولية.

وقد أظهرت الدراسة أن سورتي العصر والنصر، على الرغم من قصرهما وتقارب حجمهما النصي، تمثلان نموذجين مختلفين من نماذج الخطاب القرآني؛ إذ تعكس الأولى خصائص المرحلة

المكية في تركيزها على التوكيد والإنذار وبناء التصور العقدي، بينما تجسد الثانية خصائص المرحلة المدنية في اهتمامها بتصوير تحقق الوعد الإلهي وتوجيه الجماعة المؤمنة بعد اكتمال أسباب التمكين.

كما كشفت الدراسة عن أن العناصر الصوتية والتركيبية والدلالية في السورتين قد جاءت متضافرة لخدمة المقصد العام لكل سورة، الأمر الذي يؤكد أن العلاقة بين المبنى والمعنى في الخطاب القرآني علاقة عضوية محكمة، وأن الاختيار الأسلوبي يمثل أحد المفاتيح المهمة لفهم أسرار التعبير القرآني وخصائصه البيانية.

5. التوصيات:

1. العناية بالدراسات الأسلوبية التطبيقية في القرآن الكريم، وربطها بعلوم البلاغة العربية والتراث التفسيري.
2. توسيع مجال البحث في أثر المقام المكي والمدني في تشكيل البنية الأسلوبية للسور القرآنية.
3. الإفادة من مناهج الأسلوبية الحديثة في دراسة النص القرآني مع مراعاة خصوصيته البيانية والدينية.
4. تشجيع الدراسات المقارنة بين السور المكية والمدنية للكشف عن أثر السياق التنزيلي في توجيه الاختيارات التعبيرية.

المراجع:

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية. (د.ت). *التبيان في أقسام القرآن*. دار المعرفة.

أبو السعود العمادي، محمد بن محمد. (د.ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. دار إحياء التراث العربي.

أنيس، إبراهيم. (د.ت.). *دلالة الألفاظ*. مكتبة الأنجلو المصرية.

أنيس، إبراهيم. (1975). *الأصوات اللغوية*. مكتبة الأنجلو المصرية.

التميمي، أحمد بن عبيد بن حليط. (2025). أسلوبية الاختيار وأثرها في فهم النص القرآني: سورة المطففين أنموذجا. *حولية كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر*، *29*(3).

الجرجاني، عبد القاهر. (2004). *دلائل الإعجاز* (تحقيق محمود محمد شاكر). مكتبة الخانجي.

جيني، عبد الحكيم أحمد سر الختم. (2006). الاختيار الأسلوبي للكلمة في القرآن الكريم: أبعاده الدلالية وطاقاته الحجاجية. *مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية جامعة السلطان قابوس*، *17* (2).

حامد، حنان. (2015). مبدأ الاختيار الأسلوبي في سورة الإسراء [رسالة ماجستير، تخصص بلاغة وأسلوبية، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح].

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (1420هـ). *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*. دار إحياء التراث العربي.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. (د.ت.). *مناهل العرفان في علوم القرآن*. دار إحياء الكتب العربية.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (1988). *البرهان في علوم القرآن* (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). دار المعرفة.

الزمخشري، محمود بن عمر. (1947). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. دار الكتاب العربي.

السامرائي، فاضل صالح. (2002). *التعبير القرآني*. دار عمار.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف. (2000). *مفتاح العلوم* (تحقيق عبد الحميد هنداوي). دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (1974). *الإتقان في علوم القرآن* (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). الهيئة

المصرية العامة للكتاب.

الصالح، صبحي. (1977). *مباحث في علوم القرآن*. دار العلم للملايين.

الطبري، محمد بن جرير. (2000). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (تحقيق أحمد محمد شاكر). مؤسسة الرسالة.

العامري، محمد أحمد غالب. (2021). أسلوبية الاختيار في سورة يوسف. *مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية*، (19).

عبد المطلب، محمد. (1994). *البلاغة والأسلوبية*. الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان).

العتيبي، زكية بنت محمد مبارك السليس. (2022). سورة النصر: دراسة أسلوبية. مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية جامعة ذمار، (14).

فضل، صلاح. (1998). *علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته*. دار الشروق.

القزويني، الخطيب محمد بن عبد الرحمن. (2023). *الإيضاح في علوم البلاغة* (تحقيق ضياء الدين القالش). دار اللباب.

القطان، مناع. (1995). *مباحث في علوم القرآن*. مكتبة وهبة للنشر والتوزيع.

قطب، سيد. (2003). *في ظلال القرآن*. دار الشروق.

قطب، سيد. (2004). *التصوير الفني في القرآن*. دار الشروق.

المسدي، عبد السلام. (1982). *الأسلوب والأسلوبية*. الدار العربية للكتاب.

Citation: Beit Al-Mal, R. (2026). Stylistic choice in Sūrat al-ʿAṣr and Sūrat al-Naṣr: A study of the impact of the Meccan and Medinan context on the construction of Qur'anic expression. *Faculty of Arts Journal – Misurata University*, (22), 206–227. https://doi.org/10.36602/faj.2026.n22.11

Stylistic Choice in Sūrat al-ʿAṣr and Sūrat al-Naṣr: A Study of the Impact of the Meccan and Medinan Context on the Construction of Qur'anic Expression

Rafe Mohammed Beit Al-Mal*

Misurata University, Faculty of Arts, Department of Arabic Language and Literature, Libya

* r.baitalmal@art.misuratau.edu.ly

Received 22- 08 - 2026 **Accepted** 07- 09- 2026 **Published Online** 08- 09 - 2026

Abstract

This research examines stylistic choice in the two Qur'anic surahs of al-ʿAsr and al-Nasr, focusing on the impact of the Makkan and Madinan contexts on Qur'anic expression. It seeks to explore the extent to which stylistic choices in the two surahs correspond to their respective contexts and circumstances of revelation, while highlighting what these choices reveal about the distinctive features of Qur'anic expression and its precision in balancing form and meaning. The study adopts an analytical stylistic approach to identify and examine the expressive phenomena in the two surahs from rhetorical and exegetical perspectives. It also employs a comparative approach to Makkan and Madinan discourse to reveal the impact of contextual differences on stylistic choice. The research first addresses the concept of stylistic choice and its relationship to rhetorical and stylistic studies, followed by an examination of the major characteristics of Makkan and Madinan discourse. It then analyzes the stylistic choices in Surah al-ʿAsr, focusing on the oath, emphasis and exception, and phonetic and rhythmic structure, in relation to the Makkan context. Surah al-Nasr is subsequently examined through the use of the past tense in expressing victory and conquest, the transition from declarative to imperative discourse, collective expressions, and the influence of the Madinan context. The study demonstrates that stylistic choice in the two surahs is neither merely formal nor incidental but closely aligned with context and communicative purpose. Surah al-ʿAsr employs emphasis, brevity, restriction, and warning, consistent with Makkan discourse and its focus on establishing the foundations of faith and affirming fundamental truths. In contrast, Surah al-Nasr presents the fulfillment of the divine promise, the collective spread of the Islamic message, and the Prophet's direction to glorify and praise his Lord and seek His forgiveness, consistent with the Madinan context of empowerment and the completion of the mission. The research concludes that contextual differences shaped lexical, syntactic, phonetic, and semantic choices while preserving the unity of Qur'anic rhetorical structure.

Key words: *Stylistic Choice; Stylistics; Surah al-ʿAsr; Surah al-Nasr; Makkan and Madinan Revelation; Qur'anic Expression; Context; Qur'anic Rhetoric.*

© The Author(s), 2026. This work is licensed under CC BY-4.0